

التحرير والتنوير

والأرائك : جمع أريكة بوزن سفينة . والأريكة : سرير عليه وسادة معها ستر وهو جلته
والحجلة بفتحين وبتقديم الحاء المهملة على الجيم : كلة تنصب فوق السرير لتقي الحر
والشمس ولا يسمى السرير أريكة إلا إذا كان معه حجلة .
وقيل : كل ما يتوسد ويفترش مما له حشو يسمى أريكة وإن لم تكن له حجلة وفي الإتيان عن
ابن الجوزي : أن الأريكة السرير بالحشية فزاده السيوطي على أبيات ابن السبكي وابن حجر
في جمع المعرب في القرآن .
وجملة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا) حال ثانية من ضمير الغائب في (جزاهم) أو صفة
(جنة) .
والمراد بالشمس : حر أشعتها فنفي رؤية الشمس في قوله (لا يرون فيها شمسا) فيكون نفي
رؤية الشمس كناية عن نفي وجود الشمس الذي يلزمه انتفاء حر شعاعها فهو من الكناية
التلويحية كقوله : .
" ولا ترى الضب فيها ينجح أي لا ضب بها فتراه ولا يكون انجحاره .
والزمهير : اسمك للبرد القوي في لغة الحجاز والزمهير : اسم البرد .
والمعنى : أن هواء الجنة معتدل لا ألم فيه بحال . وفي كلام الرابعة من نساء حديث أم زرع
" زوجي كليل تهامة ولا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة " .
وقال ثعلب : الزمهير اسم القمر في لغة طيء وأنشد : .
وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعها والزمهير ما زهر والمعنى على هذا : أنهم لا يرون في
الجنة ضوء الشمس ولا ضوء القمر أي ضوء النهار وضوء الليل لأن ضياء الجنة من نور واحد خاص
بها . وهذا معنى آخر غير نفي الحر والبرد .
ومن الناس من يقول : المراد بالشمس حقيقتها وبالزمهير البرد وأن في الكلام احتباك
والتقدير : لا يرون فيها شمسا ولا قمرا ولا حرا ولا زمهيرا وجعلوه مثلا للاحتباك في
المحسنات البديعية ولعل مراده : أن المعنى أن نورها معتدل وهواءها معتدل .
(ودانية عليهم ظلالها) انتصب (دانية) عطفًا على (متكئين) لأن هذا حال سبي من
أحوال المتكئين أي ظلال شجر الجنة قريبة منهم . و (ظلالها) فاعل (دانية) وضمير (
ظلالها) عائد إلى (جنة) .
ودنو الظلال : قربها منهم وإذ لم يعهد وصف الظل بالقرب يظهر أن دنو الظلال كناية عن
تدلي الأرواح التي من شأنها أن تظلل الجنات في معتاد الدنيا ولكن الجنة لا شمس فيها

فيستظل من حرها فتعين أن تركيب (دانية عليهم ظلالها) مثل يطلق على تدلي أفنان الجنة لأن الظل المظلل للشخص لا يتفاوت بدنو ولا بعد وقد يكون (ظلالها) مجازا مرسلا عن الأفنان بعلاقة اللزوم .

والمعنى : أن أدواح الجنة قريبة من مجالسهم وذلك مما يزيد بها بهجة وحسنا وهو في معنى قوله تعالى (قطوفها دانية) .

ولذلك عطف عليه جملة (ودلت قطوفها تذليلا) أي سخرت لهم قطف تلك الألواح وسهلت لهم بحيث لا التواء فيها ولا صلابة تتعب قاطفها ولا يتمطون إليها بل يجتنونها بأسهل تناول . فاستعير التذليل للتيسير كما يقال : فرس ذلول : أي مطواع لراكبه وبقرة ذلول أي ممرنة على العمل وتقدم في سورة البقرة .

والقطوف : جمع قطف بكسر القاف وسكون الطاء وهو العنقود من التمر أو العنب سمي قطفًا بصيغة من صيغ المفعول مثل ذبح لأنه يقصد قطفه فإطلاق القطف عليه مجاز باعتبار المأل شاع في الكلام . وضمير (قطوفها) عائد إلى (جنة) أو إلى (ظلالها) باعتبار الظلال كناية عن الأشجار .

و (تذليلا) مصدر مؤكد لذلك أي تذليلا شديدا منتهيا .

قدروها فضة من قواريرا [15] قواريرا كانت وأكواب فضة من بآنية عليهم ويطاف (A E تقديرًا [16]) عطف على جملة (يشربون من كأس) الخ كما اقتضاه التناسب بين جملة (يشربون) وجملة (يطاف عليهم) في الفعلية والمضارعية وذلك من أحسن أحوال الوصل عاد الكلام إلى صفة مجالس شرايهم .

وهذه الجملة بيان لما أجمل في جملة (إن الأبرار يشربون من كأس) . وإنما عطف عليها لما فيها من مغايرة مع الجملة المعطوف عليها من صفة آنية الشراب فلهذه المناسبة أعقب ذكر مجالس أهل الجنة وامتكأتهم بذكر ما يستتبعه مما تعارفه أهل الدنيا من أحوال أهل البذخ والترف واللذات بشرب الخمر إذ يدير عليهم آنية الخمر سقاء . وإذ قد كان ذلك معروفا ولم تكن حاجة إلى ذكر فاعل الطواف فبني للنائب